جامعة الجيلالي بونعامة- خميس مليانة- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-

قسم التاريخ

السنة الجامعية:2022-2023 **د.سامية معوشي**

محاضرة: تاريخ وحضارة المغرب القديم **المستوى: الثانية ليسانس**

المحاضرة السابعة: العلاقات الليبية مع شعوب العالم القديم

الفينيقيون -القرطاجيون-

I. **العلاقات الليبية الفينيقية:** يمكن تقسيم مجال العلاقات الليبية الفينيقية الى مرحلتين هما:

1. **العلاقات السابقة للقرن الخامس قبل الميلاد:** وتمتد من البدايات الاولى للوجود الفينيقي في الحوض الغربي للمتوسط والتي كانت مع نهاية الالف الثانية قبل الميلاد وتستمر الى غاية القرن الخامس قبل الميلاد واهم ما ميز هذه المرحلة:

* علاقة ترحيب وود وسلام بين الطرفين توجت بتاسيس عدد من المستوطنات اهمها مستوطنة قرطاجة في القرن التاسع ق.م -814ق.م-

* التزام فينيقيي مدينة صور الذين اسسوا قرطاج بدفع ضريبة سنوية لليبيين التي دامت من تاسيس قرطاج 814ق.م الى القرن الخامس ق.م.

* علاقات تجارية مبنية على الثقة المتبادلة بين الطرفين، وخير ما يستدل به في هذا الشان نص المساومة الخرساء التي كانت تتم بين التجار الفينيقيين واللوبيين، التي تعكس مقدار الثقة والتفاهم بين الطرفين، ورمزا للعلاقات السلمية الباكرة بينهما، حيث جاء في النص:" كما يروي القرطاجيون ما يلي: انه توجد ارض في ليبيا وبشر يسكنونها وراء اعمدة هرقل، وانهم عندما يصلون الى هؤلاء يفرغون بضائعهم ويضعونها بنظام قرب الشاطيء ثم يركبون الى السفن ويرسلون دخانا، ما ان يرى السكان المحليون الدخان حتى ياتوا الى شاطيء البحر ويضعوا ذهبا ثمنا للسلع ثم يبتعدون عن البضائع، فينزل القرطاجيون ويفحصون

الذهب، فان تبين لهم انه مساو لقيمة السلع اخذوه وغادروا، اما اذا كان غير مساو فانهم يعودون الى السفن وينتظرون، فيعود اولئك ويضيفون الى الذهب الذي كانوا قد وضعوه الى ان يرضى هؤلاء، ولا يظلم فريق منهم الاخر، لانه لايلمس هؤلاء الذهب قبل ان يعادل قيمة السلع، ولا يلمس اولئك السلع قبل ان ياخذ هؤلاء الذهب" الفقرة196.

- شارك الليبيون الجيش القرطاجي في جميع المعارك التي خاضها ضد الاغريق مثل معركة ألاليا سنة 535ق.م بكورسيك، كما ساهموا الى جانب القرطاجيين في التصدي لمحاولة استيطان اسبرطية في ساحل خليج سرت شرق لبدة، حيث انشا دوريوس الاسبرطي مستوطنة، وتمكنت قرطاج من وضع حد لها وطرد الاغريق بمساعدة قبائل "المكاس" (Maces) الليبية حوالي 510ق.م.

2. العلاقات اللاحقة للقرن الخامس قبل الميلاد إلى غاية سقوط قرطاجة 146ق.م:

ويمكن ان نقسمها الى فترتين زمنيتين هما:

1.2. الفترة الأولى وتمتد من نهاية 480ق.م إلى 237ق.م: وأهم ما ميزها:

يظهر من منطوق المصادر الكلاسيكية ان طبيعة العلاقات الليبية القرطاجية قد تغيرت من القرن الخامس قبل الميلاد خاصة بعد انهزام قرطاجة في معركة هميرا امام الاغريق بجزيرة صقلية سنة 480ق.م، حيث ساد التوتر بين الطرفين عقب ظهور سياسة الاتجاه الافريقي، وهي سياسة انتهجتها الدولة القرطاجية مع جرانها الليبيين تمثلت في:

* قطع الضريبة السنوية التي تعودت قرطاج على دفعها منذ التاسيس، وارغامهم على دفع الضريبة لها.

* تجنيد قرطاجة لليبيين في حروبها.

* سياسة التوسعات التي طبقتها قرطاجة في المجال الافريقي بعدما خسرت مناطق نفوذها في صقلية امام الاغريق، جعلتها تقوم بتوسيع اقليمها على حساب اراضي الليبيين لاستغلالها في المجال الزراعي، بمعنى ان قرطاجة فتحت لنفسها مجالات اقتصادية جديدة قرنت فيها

النشاطات التجارية البرية والبحرية بالانشطة الزراعية. وفي هذا الشان يذكر "بوليبيوس" ان الأراضي القرطاجية امتدت عشية الحرب البونية الاولى من معبد الاخوين فلينوس إلى أعمدة هرقل غربا.

نتج عن هذه التحولات في سياسة قرطاجة تجاه الليبيين الى تذمرهم وسخطهم منها، ومحاولة التخلص من سيطرتها ومعاداتها واستغلال فرص التمرد ضدها والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة نذكر منها:

* ثورة الليبيين ضد قرطاجة سنة 396ق.م ، وذكر ديودور الصقلي ان عشرين الف من الاهلي حاصروا قرطاجة.

* الثورة الاخرى حدثت سنة 379ق.م، ورغم تمكن قرطاج من احتواء الوضع، وتهدئة الاوضاع خلال السنوات378-367-365ق.م، الا ان استنجاد "حنون" القرطاجي بملك ماوري في اواسط القرن الرابع ق.م، يعكس مدى تشنج العلاقات بين الطرفين وتاثير الاهالي على السياسة القرطاجية.

* تحالف الملك ايلماس مع اغاثوكليس في حملته على افريقيا ضد قرطاجة فيما بين 310ق.م-307ق.م

* ثورة الجند المرتزقة وقد دامت ثلاث سنوات واربع اشهر: نهاية 241ق.م الى بداية سنة 237ق.م[1]

2.2. الفترة الثانية وتمتد 218ق.م الى غاية 146ق.م: وأهم ما ميزها:

رغم تشنج العلاقات بين القرطاجيين والليبيين في المرحلة الاولى الا ان الوضع لم يستمر على حاله، اذ اخذت هذه العلاقة تاخذ منحى اخر عقب دخول قرطاجة مجددا في حرب ثانية ضد

[1]– اكثر تفاصيل عن ثورة الجند المرتزقة نظر: محمد العربي العقون، من تداعيات الحرب البونية الاولى على قرطاج ثورة جندها الماجور (241–237ق.م)، مجلة العلوم الانسانية، العدد.21، 2004، ص ص200–212.
محمد الصغير غانم، ثورة الجيش المرتزق في الحرب الغير مغتفرة، في كتاب: مقالات واراء في تاريخ الجزائر القديم.

روما، حيث ادركت قرطاجة العواقب الوخيمة التي ستترتب عن عدائها لليبيين في هذه المرحلة التي تنامت فيها قوة ثالثة في الضفة الغربية للمتوسط واخذت تفرض سيادتها وهي الممالك الوطنية (نوميديا الشرقية والغربية) وموريطانيا، فتفطنت قرطاجة الى الموقع الجيوسياسي الذي تحتله الممالك الوطنية من جهة، ورغبتها في التحالف معها في جبهة موحدة ضد الرومان، الامر الذي دفعها الى التحالف مع الملوك الوطنيين، والدخول معهم في علاقات قرابة ومصاهرة، من اجل تمتين العلاقة معهم بما يخدم مصالحها من اجل ضمان تحالفهم الدائم معها.

1.مع نوميديا الشرقية(مملكة الماسيل): وملكا غايا

- تدخل قرطاجة لصالح الملك غايا ضد سيفاكس حول قطعة الارض الحدودية التي كانت محور صراع بين غايا وسيفاكس سنة 213ق.م.
- اوفد الملك غايا ابنه ماسينيسا وهو صغيرا الى قرطاجة ليتعلم ويتشبع بالثقافة البونيقية.
- دعم قرطاجة عسكريا في حربها ضد روما، ، ومن مظاهر هذا الدعم أن كان ماسينيسا على راس احدى القوات نوميدية في شبه جزيرة ايبيريا (212-206ق.م) تواجه الرومان هناك.

2. مع نوميديا الغربية (مملكة الماسيسيل): وملكها سيفاكس

- دعم قرطاجة بالسلاح وبالفرق القتالية النوميدية في حربها ضد روما.
- سعي قرطاجة الى التحالف مع سيفاكس وقد وطدت هذا التحالف بتزويجه بالملكة القرطاجية صفونيزبة ابنة عزربعل بن جيسكون.
- تواطئ قرطاجة مع الملك سيفاكس للحيلولة دون وصول ماسينيسا الى وراثة عرش مملكة نوميديا الشرقية.

رغم مظاهر السلم التي طبعت العلاقة بين قرطاجة مع المملكتين النوميديتين لمواجهة الخطر الروماني بما يخدم مصلحة قرطاجة بالدرجة الاولى، الا ان هذه الاخيرة -اي قرطاجة- لم تنجح في اقامة علاقات ودية بين الطرفين في نفس الوقت، فتحالفها مع احد الاطراف كان يؤلب الطرف

الاخر ضدها بسبب اضطراب العلاقات السياسية بين النوميديتين، ويمكن ارجاع دوافع التوتر بين قرطاجة والممالك النوميدية في الاسباب الاتية:

1.1.مع نوميديا الشرقية:

* تعتبر قضية وراثة العرش النوميدي من اهم الاسباب التي صدعت العلاقة بين قرطاجة وملكة نوميديا الشرقية، فوفقا للتقاليد النوميدية يعتلي سدة الحكم من هو اكبر سنا في العائلة، فبعد وفاة الملك قايا سنة206ق.م آل الحكم الى أوزلاكن (Oezalcen) شقيق الملك المتوفي لكن القدر عجل بوفاته في نفس السنة فخلفه ابنه كابوسا(Capussa)(204ق.م-202ق.م) اكبر من ماسينيسا، لكن مازيتول(Mazaetulli) احد الضباط الكبار انقض على الحكم وأبعد كابوسا ونصب مكانه شقيقه الاصغر منه سنا لاكومازس(Lacumez) وهو اصغر سنا من ماسينيسا وهو ما اثار غضب هذا الاخير فانقلب على قرطاجة بعدما تبين له أن لها يدا مع الملك سيفاكس في تحريك تلك الاحداث ضد مصالحه السياسية في الحكم، كما اعتبر ان قرطاج كانت ناكرة للجميل نظرا لخدماته الجليلة التي أسداها لها بوقوفه مدة ست سنوات (212ق.م-206ق.م) الى جانبها في اسبانيا. كان هذا السبب كافيا لينقلب ماسينيسا على قرطاج ويتصل بالقيادة الرومانية سنة 206ق.م ويعرض تحالفه معها ضد قرطاجة.

* الت العلاقات القرطاجية الماسيلية الى القطيعة بعد قضية وراثة العرش، حيث عمد ماسينيسا الى دعم القوات الرومانية بقيادة سكيبيو عند نزوله بقواته الى شمال افريقيا سنة 204ق.م، وبعد سلسلة من المعارك التي قادها الطرفان- اي ماسينيسا وسكيبيو- ضد قرطاجة وحليفها سيفاكس، تمكن ماسينيسا من هزيمة الملك سيفاكس في معركة السهول الكبرى سنة 203ق.م وتسليمه الى الرومان، وقد توالت انتصارات ماسينيسا وروما التي تمكنت من هزيمة قرطاجة في معركة زاما سنة 202ق.م، واجبارها على التوقيع على بنود معاهدة الاستلام سنة 201ق.م.

* بعد هزيمة قرطاجة في الحرب البونية الثانية توج ماسينيسا ملكا على عرش مملكة نوميديا الموحدة، الممتدة من نهر ملوية غربا الى قرطاجة شرقا، ويظهر أن ماسينيسا لم يتوقف عن تهديد قرطاجة ومواجهتها بمجرد نهاية الحرب البونية الثانية سنة 201ق.م، بل عمد الى التوسع على حساب قرطاجة خاصة ان روما قد منحته حق استرجاع ممتلكات اجداده دون ان تحدد الشكل النهائي للحدود الفاصلة بين مملكة ماسينيسا والممتلكات القرطاجية، وعليه عمد الملك ماسينيسا الى التوسع نحو قرطاجة وقد استطاع ان يقتطع منها العديد من الاراضي الخصبة ما بين 193ق.م الى غاية 150ق.م، الامر الذي فجر الصراع مجددا بين ماسينيسا وقرطاجة لتتدخل روما وتحسم هذا الصراع لصالحها في اخر حرب جمعتها ضد قرطاجة امتدت من سنة 149ق.م الى 146ق.م، لانها باتت تتخوف من الملك ماسينيسا االذي اخذت تتنامى قوته في شمال افريقيا اكثر من قرطاجة المنهارة، لينتهي الصراع بسقوط قرطاجة سنة 146ق.م.

2.2. مع نوميديا الغربية:

* رغم جهود روما لاستمالة الملك سيفاكس، ومساعي هذا الاخير -اي سيفاكس- في لقاء سيغا سنة 206ق.م لايجاد تسوية للخلاف القائم بين قرطاجة والرومان دون خوض الحرب، الا انه في النهاية اختار جبهة القتال مع قرطاجة امام اصرار روما على نقل الحرب الى افريقيا، وقد عززت قرطاجة من تحالفها مع الملك سيفاكس بتزويجه من الملكة القرطاجية صفونيزبة، والسبب في ميل قرطاجة الى الملك سيفاكس ناتج عن الموقع الجغرافي الممتاز الذي احتلته مملكته القريبة من شبه جزيرة ايبيريا، حيث كانت ترابط القوات القرطاجية استعداد للحرب البونية الثانية، وبالتالي ستضمن طريق الرجعة لجيوشها عبر اراضي سيفاكس، وحماية ظهر جيوشها وضمان الامدادات اللازمة من اقرب الطرق.

اما عن الدوافع التي كانت وراء انحياز الملك سيفاكس، هو توالي انتصارات روما على قرطاجة مع نهاية (ح.ب.2) في شبه جزيرة ايبيريا، وقطعهم الامدادات على حنبعل بايطاليا عبر المتوسط، كما ان اصرار روما على نقل الحرب الى افريقيا جعلته يغير وجهته للتحالف مع قرطاجة.